ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٢١) - اعرف امامك (ج٢٠)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(14)
الصحيفة (٤) - شؤون النبوة الخاتمة (ق١)
الشأن الأول: المنزلة المحمدية
-المَثَلُ الأعلى لله تعالى هو محمد صلى الله عليه وآله
-رشحات نورية من منزلة محمد صلى الله عليه وآله
-نفرت الملائكة وقالت : ما أشبه نور محمد بنور ربنا
-يا أحمد خلقتك لأجلي وخلقت الخلق لأجلك
الاثنين : ٢٠/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٣/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

كما بينتُ لكم منذُ الحلقاتِ الأولى من أنَّ هذا العنوان (معرفةُ الإمام) منظومةٌ عقائديةٌ متكاملة، ولن أستطيع أن أقول من أنَّني قد وضعتُ بين أيديكم برنامجاً موضوعهُ مَعرفةُ الإمام إلى أن يكتمل الحديثُ في كُلِّ صحائف العقيدةِ السليمة، المطالبُ قد تفترقُ في جهةٍ لكنَّها تلتقي في جهات.
فحينما أتحدَّثُ عن النُبوَّة الخاتمة:
- من جهةٍ حديثٌ عن النُبوَّة.
- ومن جِهةٍ أخرى الحديث جزءٌ من معرفة الإمام.
البرنامج موجزٌ مختصر ولذا فإنَّني اخترت هذا العنوان (**شؤونُ النُبوّة الخاتمة**)، وما وضعتُ عنوان (**النُبوَّة الخاتمة**)، لأنَّني حينئذ إذا أردتُ الالتزام بهذا العنوان سيطول البرنامج، لكنَّني سأسلِّطُ الضوء على جانبٍ من شؤونِ النُبوَّة الخاتمة، وتلكَ هي الجهةُ الأهم الَّتي ترتبطُ بعقيدتنا السليمة وبمعرفة إمامِ زماننا الحُجَّة بن الحَسن صلواتُ الله وسلامهُ عليه، من هنا عنونتُ الصَحيفةَ الرابعة بهذا العنوان.
الصحيفةُ الرابعة من صحائف العقيدة السليمة عنوانها: **شؤونُ النُبوَّة الخاتمة.**
الشأنُ الأول، ربَّما يكفي الوقت للحديث في هذه الحلقة عن شأنين، الشأنُ الأول: **المنزلةُ الـمُحَمَّديَّة.**
وحين أضعُ هذا العنوان فإنَّ العنوانَ في حقيقته هو (المَنزلةُ الـمُحَمَّديَّةُ العَلَويَّةُ الفَاطِميّة) ، فهؤلاء هُم أئِمَّة الأئِمَّة، لكنَّني سأقتصرُ على العنوان الَّذي ذكرتهُ لكم (المنزلةُ الـمُحَمَّديّة).
ومثلما قلت لكم في الحقيقة هي (المنزلةُ الـمُحَمَّديَّةُ العَلَويَّةُ الفَاطِميّة) ، وبعدَ ذلك ينتقلُ الكلام إلى أبناءِ فَاطِمَة من الحسن المجتبى إلى الحُجَّة القائم المهدي صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.
• **إذاً الشأن الأول: المنزلةُ الـمُحَمَّديَّة.**
اللقطةُ الأولى عنوانها: المثلُ الأعلى.
نحنُ نتحدَّثُ عن النُبوَّة الخاتمة، نتحدَّثُ عن مُحَمَّد المحمود الأحمد صلَّى اللهُ عليه وآله، اللقطةُ الأولى (المثلُ الأعلى)، مُحَمّدٌ صلَّى الله عليه هو المثلُ الأعلى لمن؟ لله سبحانهُ وتعالى، المثلُ الأعلى في أسمى درجات الحقيقة وفي أرقى معاني التجلي الإلهي، المثلُ الأعلى لله سُبحانهُ وتعالى مُحَمّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله.
في سورة الروم وفي الآية السابعة والعشرين بعد البسملة من السورة: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى**﴾، لله سبحانه وتعالى، أين هذا المثلُ الأعلى لله سبحانهُ وتعالى؟ - **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾، فأين سيكون المثل الأعلى؟ وبعبارة أخرى من هو هذا المثلُ الأعلى؟ ﴿**وَلَهُ** - لله سبحانهُ وتعالى - **الْمَثَلُ الْأَعْلَى**﴾.
ومن سورة الروم إلى سورة النحل وإلى الآية الستين بعد البسملة: ﴿**لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾، فَمَثَلُ السّوء من عالم الخلق، والمثلُ الأعلى أيضاً، المثلُ الأعلى إنَّهُ المخلوقُ الأكمل الأرقى، الَّذي أودع اللهُ سُبحانَه وتعالى فيهِ وعندَهُ كُلَّ أسراره، فهم صلواتُ اللهِ عليهم خُزانة أسرارِ الله، والحديثُ هنا عن مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله..
إذا ذهبنا إلى سورة الروم مرةً أخرى، إلى الآية السابعة والعشرين بعد البسملة من سورة الروم نجد أنَّ المثَل الأعلى يأتي متبوعاً بهذين الاسمين: (العزيزُ ، الحكيم)، أقرأ عليكم الآية السابعة والعشرين بعد البسملة من سورة الروم: ﴿**وَلَهُ** - لله - **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾، العزّةُ والحكمة.
وفي الآية الستين بعد البسملة من سورة النحل: ﴿**وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم**﴾.
أنا لا أملكُ وقتاً كي أُفصِّل الحديثَ في كُلِّ صغيرةٍ وكبيرة، لكنَّكم تُلاحظونَ هندسةً واضحةً ونظاماً مُتكاملاً على مستوى الألفاظ، وعلى مستوى المعاني، قطعاً الألفاظُ تقودنا إلى المعاني، فهناكَ نَظمٌ لهذه الحقائق الَّتي أُحدِّثكم عنها عبرَ آيات الكتاب و عبرَ أحاديث العترة الطاهرة، لن أذهبَ بكم بعيداً لتشخيص المثَل الأعلى وإنْ كُنت قد ذكرتُ قبل قليل من أنَّ المثَل الأعلى لله هو مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله.
هذا المعنى نحنُ نقرأهُ في الزيارة الجامعة الكبيرة:
في (مفاتيح الجنان) وهذه الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة، في بدايات الزيارة الشريفة في مقاطع السَّلام، وتحديداً في المقطع الثاني من مقاطع السَّلام في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى وَأُولِي الحجَى وَكَهْفِ الوَرَى وَوَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الأَعْلَى وَالدَّعْوَةِ الحُسْنَى**)، إلى بقيّةِ ما جَاء في الزيارة الشريفة، (**وَأُولِي الحجَى وَكَهْفِ الوَرَى وَوَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الأَعْلَى**)، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ هُم المثلُ الأعلى.
المثلُ الأعلى الَّذي أشار إليهِ الكتابُ الكريم في سورةِ الروم وفي سورةِ النحل: ﴿**وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

في الجزء الأول من (الكافي الشريف) صفحة ١٣٣ / (بابُ حدوث الأسماء)، الروايةُ الأولى وهي روايةٌ مُهمّةٌ وخطيرةٌ جِدّاً، سأعودُ إليها حينما يصلُ الكلامُ إلى شئونِ التوحيد، لكنّني سأقرأ جانباً منها، سأقرأ بدايتها لأجلِ أن أُقرّب لكم الفكرة عن معنى المثَلِ الأعلى، المثَلُ الأعلى الحقيقةُ الجامعةُ لكُلِّ ما تجلّى بهِ اللهُ فيما خلق، اللهُ سبحانهُ وتعالى خلقَ الحقيقةَ الـمُحمّديّةَ وهي الّتي عُبر عنها (بالمشيئة)، خلَقَ المشيئةَ بنفسها، وبعدَ ذلكَ خلقَ الأشياء بالمشيئة..

بسنده - بسند الكليني مُؤلّف الكافي - **عن إبراهيم بن عُمر، عن إمامنا الصّادق صلواتُ الله وسَلامهُ عليه: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً** - الروايةُ تتحدّثُ عن اسمٍ خلقهُ الله مخلوق - **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً** - ما هي مواصفاتهُ؟ - **بِالحُرُوف غَيْرَ مُتَصَوَّت** - نحنُ لا نتحدّثُ عن اسمٍ ملفوظٍ كأسمائنا هنا في عالمِ الأرض وفي أجواء تُرابها وصعيدها - **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالحُرُوف غَيرَ مُتَصَوَّت وَبِاللَّفظ غَيْرَ مُنْطَق وَبِالشَّخْص غَيْرَ مُجَسّد** - ليسَ لهُ من حدودِ تُشخّصهُ كحدودنا الّتي تُشخّصنا - **وَبِالتَشْبِيه غَيْرَ مَوصُوف** - ليس لهُ من شبيه هذا الاسم - **وَبِاللَّونِ غَيْرَ مَصْبوغ** - عجيب هذا! - **مَنْفِيٌّ عَنْهُ الأَقْطَار، مُبَعَّدٌ عَنْهُ الحُدُود، مَحْجُوبٌ عَنْهُ حِس كُلِّ مُتَوَهِّم، مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَسْتُور فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّة** - إلى آخر الحديث.

مُحَمّدٌ .. مُحَمّدٌ .. مُحَمّد ..

المثَلُ الأعلى في مستوى الحقيقة : هو هذا الّذي يتحدّثُ عنهُ هذا الحديثُ الشريف الخطيرُ في نفس الوقت، سأعودُ إلى هذا الحديثِ إن شاء اللهُ تعالى..

وفي الكتاب الكريمِ جاءَ المثَلُ الأعلى في تصويرٍ حسيٍّ في سورة النور:

في الآية الخامسة والثلاثين بعدَ البسملة من سورة النور والّتي تُسمّى أيضاً بآية النور: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ**﴾، هو هذا المثَلُ الأعلى لله سبحانهُ وتعالى في القُرآن في مستوى التعبير القُرآني.

- **في مستوى التعبير القُرآني**: هو هذا المثلُ الأعلى في القُرآنِ من أوله إلى آخره، فلهُ سُبحانهُ وتعالى الـمَثَلُ الأعلى.

- **في مستوى الحقيقة** : ما قرأتهُ عليكم من حديثٍ عن إمامنا الصّادقِ عن الاسمِ الّذي خلقهُ الله سبحانهُ وتعالى بتلك المواصفات العجيبة.

أمّا في عالمِ القرآنِ وفي عالمِ التعبيرِ في آياتِ الكتابِ فإنَّ الـمَثَلُ الأعلى هو هذا في الآية الخامسة والثلاثين بعد البسملة من سورةِ النور، إنّها آيةُ النور: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** - دخلنا في أجواء مُحمّد وآل مُحمّد صلواتُ الله عليهم - **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

أقفُ عند معنى (المشكاة):

إذا أردتُ أن أتناول الآية بكُلِّ تفاصيلها فإنّني سأحتاجُ إلى حلقة أخرى وأنا أحاول أن أختصر الحديث بقدر ما أستطيع.

المشكاةُ هي الّتي ليست واضحةً عندَ الّذين يقرؤون هذهِ الآيةَ أو يستمعونَ إليها، ولذا سأوضحُ معنى المشكاة:

المشكاةُ بحسبِ زمانهم صلواتُ الله عليهم:

المشكاةُ هكذا يُعبّرون عنها في كتبِ اللغة العربية: من أنّها كُوّةٌ غيرُ نافذة. ما المرادُ من الكُوّة غيرِ النافذة؟ الكُوّةُ غيرَ النافذة مكانٌ يُفتحُ في الجدار، وهذه الفتحةُ لن تكون نافذةً إلى الجهة الثانية بحيث أنَّ الهواء يدخلُ منها، أنَّ ضوء الشّمسِ يأتي عبرها، بمثابة تجويفٍ في داخلِ الجدار، لماذا هذا التجويفُ هذه الفتحة؟ حينَ أتحدّثُ عن تجويفٍ وعن فتحةٍ بشكلٍ هندسي، لا بشكلٍ فوضوي، بمثابة خانة لوضع شيء ما، يؤتى بالمصباح فيوضع في هذه الكُوّة، لماذا؟ لأجلِ الاستفادة إلى أقصى حدٍّ من ضوء المصباح، فإنَّ المصباح إذا ما وُضعَ في هذه الكُوّة والّتي لن تكونَ كبيرةً تكونُ بحجمٍ يتناسبُ معَ حجمِ المصباح، قطعاً إذا كانَ المصباحُ كبيراً فلابُدَّ منَ كُوّةٍ كبيرة تناسبُ حجمه، وإذا كانَ المصباحُ صغيراً فإنَّ الكُوّة الّتي تناسبهُ ستكونُ صغيرةً، فيُوضعُ المصباحُ في هذه الكُوّة لأجلِ أن يُنظّمُ انطلاقُ النورِ، انطلاقُ الضوء من المصباح، كي يتوجّه إلى جهةٍ واحدة، لأجلِ أن تكونَ الفائدةُ أكبر، أن تكونَ المنفعةُ أعظم، فالكُوّةُ فتحةٌ تجويفٌ في الجدار بمثابةِ خانةٍ صغيرة يؤتى بالمصباح المشتعلِ والمستنيرِ فيُوضع في تلكَ الكُوّة لأجلِ أن لا ينتشر ضوء المصباح في جميع الاتجاهاتِ وبالتالي تكونُ المنفعةُ أقل فيوضع في هذهِ الكُوّة كي ينطلق نورُ المصباح باتجاهٍ واحدٍ عبرَ هذهِ الكُوّة، هذهِ هي المشكاةُ.

في زماننا:

وحتّى هذا في كان في الأزمنة القديمة، لكنّني أريد أن أوضح الموضوع أكثر كي تكون الصورة بيّنةً لديكم، في زماننا المشكاةُ هي الأوعيةُ والوسائل الّتي تُحفظُ فيها المصابيح، المصباحُ موجودٌ ويُوضعُ في حافظة، وهذه الحافظةُ تُحافظُ على المصباحِ الزجاجي وفي الوقت نفسه تُنظّمُ صدور الضوء والنور منه، وفي بعض الأحيان رُبّما تُضخّمُ هذا النور، رُبّما تجعلُ الضوءَ الصادر من المصباح بشكلٍ أشد بحسبِ المادة الّتي صُنعت منها المشكاة، فالمشكاةُ هو ما يُحيطُ بالمصابيحِ لأجلِ الحفظ وفي بعض الأحيانِ رُبّما لتلوينِ الضوء الصادر من المصباح لغاية ولحكمة يُرادُ للضوء أن يكون بلونٍ مُعيّنٍ. مثلاً كالمصابيح الصغيرة الّتي يستعملها النّاس حينما يُطفئون المصابيح الكبيرةَ في غُرف النوم ويُضيئونَ مصباحاً صَغيراً، فإنَّهُ سيكون مُلوّناً سيكون ضوؤه مُلوناً باللونِ الأزرق مثلاً، باللونِ الأخضر مثلاً كي يكون لوناً هادئاً لا يثيرُ الجوّ حولَ النائم، هذهِ أمورٌ معروفةٌ لديكم.

وإذا ما رجعنا إلى أحاديثهم التفسيرية فإنَّ المشكاة:

- فُسّرت بفَاطمَة.

- وفُسّرت بقلبِ مُحمّد.

- وفُسّرت وفُسّرت في أجوائهم.

والتفاصيلُ الّتي تحدّثت عنها الآيةُ من أولها إلى آخرها هي في أجواءِ وفي أفنيةِ مُحمّدٍ وآلِ مُحمّد:

- فَفَاطمَةُ هي المشكاةُ.

- وفَاطمَة هي الشجرةُ المباركةُ.

هذه تجلياتٌ، هذه مظاهرٌ وظهورات، والأصلُ كُلُّ الأصلِ مُحمّد صلّى الله عليه وآله، فإنَّ الآية هنا وأتحدّثُ عن آية النور: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾، فإنَّ الآيةَ تُحدّثنا عن مُحمّد، مُحمّدٌ هو الأصلُ في كُلِّ هذهِ المضامين.

هذه لقطةٌ أخرى يمكنني أن أعنونها: رشحاتٌ نوريَّة.

في الجزء الخامس عشر من (بحار الأنوار) لشيخنا المجلسي / في الصفحة التاسعة والعشرين، حديثٌ طويل عن أمير المؤمنين يُحدِّثنا عن شؤون مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، الأميرُ يقول، سآخذ جانباً من هذا الحديث بحسبِ ما يسنح به الوقت، الأمير يقول، قطعاً بعد أن فَصَّل الكثير من الكلام إلى أنْ وصل إلى هذه النقطة: **ثُمَّ إِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ مِنْ نُورِ مُحَمَّد** - انتبهوا إلى هذه النقطة؛ إنَّ الله خلقَ من نورِ مُحَمَّد بحاراً من الفيض وبعدَ ذلك أنزل نورهُ ، أنزلَ نورَ مُحَمَّد في تلكَ البحار الَّتي خلقها اللهُ من نفسِ ذلكَ النور، الأمير يقول: **ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ مِنْ نُورِ مُحَمَّد عشْرِينَ بَحْراً مِنْ نُور، فِي كُلِّ بَحرٍ عُلُومٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ لنُورِ مُحَمَّد: انْزِلْ فِي بَحرِ العزّ فَنَزَل، ثُمَّ فِي بَحرِ الصَّبْر** - هذي بحارُ النور الَّتي اشتقها سبحانه وتعالى من نورِ مُحَمَّد - **ثُمَّ فِي بَحرِ الخُشُوع، ثُمَّ فِي بَحرِ التَّوَاضُع، ثُمَّ فِي بَحرِ الرِّضا، ثُمَّ فِي بَحرِ الوَفَاء، ثُمَّ فِي بَحرِ الحِلْم، ثُمَّ فِي بَحرِ التُّقَى، ثُمَّ فِي بَحرِ الخَشْيَة، ثُمَّ فِي بَحرِ الإِنَابَة، ثُمَّ فِي بَحرِ العَمَل، ثُمَّ فِي بَحرِ المَزِيد، ثُمَّ فِي بَحرِ الهُدَى، ثُمَّ فِي بَحرِ الصِّيَانَة، ثُمَّ فِي بَحرِ الحَيَاء، حتَّى تَقَلَّبَ فِي عشرِين بَحراً، فَلَمَّا خَرَجَ من آخرِ الأَبحُرِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا حَبِيبِي وَيَا سَيِّدَ رُسُلِي وَيَا أَوَّلَ مَخْلُوقَاتِي وَيَا آخِرَ رُسُلِي** - لا تنسوا عنواننا (شؤونُ النُبوّة الخاتمة) - **وَيَا آخِرَ رُسُلِي أَنْتَ الشَّفِيعُ يَومَ المُحْشَر** - حينما يقول اللهُ ذلك لـمُحَمَّد هل هو كقولي لكم شيئاً أو كقولكم لي شيئاً ما؟ الحديثُ في هذا حديثُ التجليات، فإنَّ الله يتجلَّى فيه، هذه تجلياتُ الله في مُحَمَّد، فما هو بحديثِ كحديثي معكم أو كحديثكم معي - **فَخَرَّ النُّورُ سَاجِداً** - نورُ مُحَمَّد - **فَخَرَّ النُّورُ سَاجِداً ثُمَّ قَام** - قامَ النورَ - **فَقَطَرَت مِنْهُ قَطَرَاتٌ كَانَ عَدَدُهَا** - عدد تلكَ القطرات - **مئةَ أَلْف وَأَربَعَةً وَعِشْرِين أَلْف قَطْرَة** - إنَّهم الأنبياء - **فَخَلَقَ اللهُ تَعَالَى من كُلِّ قَطرة من نُوره** - منَ نورِ مُحَمَّد - **نَبِيّاً من الأَنْبِياء، فَلَمَّا تَكَامَلت الأَنْوَار** - أنوارُ الأنبياء - **صَارَت تَطُوفُ حول نُورِ مُحَمَّد كَمَا تَطُوفُ الحُجَّاجِ حَولَ بَيْتِ اللهِ الحَرَام** - وهذا من جُملةِ أسرار الحج، من جملة مضامين الحج، يطوفُ الحُجَّاجُ حولَ موضعٍ وُلد فيه عليٌ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وُلدَ عليٌ وبعدَ ذلك حدثت البعثةُ، وبعد البعثة شُرِّعت الأحكام، ومن جُملة الأحكامِ شُرِّعت أحكام الحج، ومنَ طُقوسهِ أن يكون طوافٌ حول البيت حول المكان الَّذي وُلد فيه عليٌ فطهَّرهُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

يستمرُ حديثُ الأمير إلى أنَ يقول صلواتُ الله وسلامهُ عليه في الصفحة نفسها: **وَخَلَقَ مِنْ نُورِ اللَّوحِ القَلَم** - (وَخَلَقَ) اللهُ خلق من نور اللوح القلم - **وَقَالَ لَهُ: اكْتُب تَوْحِيدِي، فَبَقِيَ القَلَمُ أَلْفَ عَامٍ سَكْرَانَ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى** - رموزٌ هذه، إشاراتٌ هذه..

- **فَبَقِيَ القَلَمُ أَلْفَ عَامٍ سَكْرَان** - قطعاً الحديث عن الأعوامِ ما هي بأعوامنا في الأرض، إنَّهُ وعاءٌ في ذلك العالم كوعاء الزمان في عالمنا هذا، وعاءٌ يتناسبُ حيثُ ما يتحدَّثُ الحديثُ في تلكَ المراتب وفي تلكَ الطبقات من الوجود والفيض - **فَبَقِيَ القَلَمُ أَلْفَ عَامٍ سَكْرَانَ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: اكْتُب، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُب؟ قَالَ: اكْتُب لَا إِلَه إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَلَمَّا سَمِعَ القَلَمُ اسمَ مُحَمَّد خَرَّ سَاجِداً وَقَالَ: سُبْحَانَ الوَاحِدِ القَهَّار، سُبْحَانَ العَظِيمِ الأَعْظَم، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَكَتَبَ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ وَمَن مُحَمَّدٌ الَّذِي قَرَنْتَ اسْمَهُ بِاسْمِكَ وَذِكْرَهُ بِذِكْرِكَ؟ قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: يَا قَلَمَ فَلَوْلَاه مَا خَلَقْتُك وَلَا خَلَقْتُ خَلْقِي إِلَّا لأَجْلِه، فَهُو بَشِيرٌ وَنَذِير، وَسِرَاجٌ مُنِير، وَشَفِيعٌ وَحَبِيب، فَعِنْدَ ذَلِكَ انْشَقَّ القَلَمُ مِنْ حَلَاوةِ ذِكْرِ مُحَمَّد** - كيف أتصوّر هذا المعنى قلتُ لكم هذه المعاني ليست للذوق، لا نستطيعُ أن نتذوقها، وإنَّما نستطيعُ أن نعلم بها، نستطيعُ أن نُصدِّقها بالتوفيق بالتسليم لحديثهم - **فَعِنْدَ ذَلِكَ انْشَقَّ القَلَمُ مِنْ حَلَاوةِ ذِكْرِ مُحَمَّد، ثُمَّ قَالَ القَلَمُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله** - مَن الَّذي أجاب؟ - **فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه** - القلمُ سلَّم على مُحَمَّد، مَن الَّذي أجاب؟ هل أجاب مُحَمَّدٌ؟! إنَّ الله هو الَّذي أجاب، أسرارٌ نحن لا ندرك حقائقها، مثلما جاء في حديث المعراج من أنَّ مُحَمَّداً حينَ كلَّم الله في أعلى نُقطة وصل إليها من عوالم النور فإنَّ الله حدَّثهُ بصوت عليٍّ، أسرارٌ تفتحُ على أسرار، إنَّهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، الاسمُ الَّذي هو بالحروف غير مُتصوّت وباللفظِ غير مُنطَق، تلكَ هي الحقيقة الَّتي يُحدِّثنا القُرآنُ عندها وتُحدِّثنا العترةُ الطاهرةُ في أحاديثها عنها.

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه، فَلأَجْلِ هَذَا صَارَ السَّلَامُ سُنَّةً - الابتداء - **وَالرَّدُّ فَرِيضَةً** - لأنَّ الَّذي ردَّ هوَ الله، إنَّها حقائقُ الفقه بحسبِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد لا بحسبِ حوزة النَّجف، هذه حقائقُ الدينِ وحقائقُ العقيدة وحقائقُ الفتاوى والأحكام، إنَّها مظاهرُ العقيدة، دائماً أردِّد هذا الكلام من أنَّ العباداتِ ومن أنَّ الأحكام والفتاوى هي مظاهرُ العقيدة، هي رموزٌ وإشاراتٌ إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، كالطواف في البيت إنَّهُ طوافٌ حول مُحَمَّد، كالسَّلام وردِّ السَّلام إنَّهُ في أجواء مُحَمَّد، إنَّهُ المَثَلُ الأعلى، ﴿**وَلَهُ**﴾ - سبحانه وتعالى - ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾، المَثَلُ الأعلى مُحَمَّد، مُحَمَّد، مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله.

في (علل الشرائع) لشيخنا الصَدوق المتوفى سنة ٣٨١ للهجرة، وهذا هو الجزء الثاني من علل الشرائع، البابُ الأول الَّذي عنوانهُ (علل الوضوء والأذان والصَّلاة) ، الحديثُ الأول حديثٌ طويل، أنا سآخذُ بعضَ كلمات منه، الحديثُ يخبرنا عن جانبٍ ممَّا جرى في المعراج المُحَمَّدي، في المعراج الَّذي نعرفهُ، معارجُ النَّبي لا تُعدُّ ولا تُحصى، لكن هناكَ معراجٌ يُقرنُ دائماً معَ الإسراء (إسراء ومعراج)، الحَديثُ عن هذا المعراج.

إمامنا الصَّادقُ يُخبرنا: **ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا** - عرجَ مُحَمَّدٌ وبصحبته جبرائيل التفصيل الَّذي تُخبرنا به أحاديثُ المعراج - **ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا** - وهي السَّماء الأولى - **فَنَفَرَت المَلَائِكَةُ إِلَى أَطْرَافِ السَّمَاء** - لماذا؟ لأنَّها بما تمتلكُ من رؤية ومن قدرةٍ على الاستشراف ومُلامسة لا أقولُ الحَقيقة، وإنَّما تُلامسُ أفلاك الحقيقة، فقد رأتَ ما رأت من سُطوعِ النورِ المُحَمَّدي ممَّا جعلها تنفُر نافرةً ليست مُتحملةً، ولذا نفرت وسجدت، نُفورها لم يكن من خوف، نفورها لم يكن من اشمئزاز، نفورها كانَ من عجزٍ لم تستطع أن تحتمل هذا السطوع فنفرت إلى أطرافِ السَّماء وخرّت ساجدةً، خرّت ساجدةً لهذا النور.

فَنَفَرَت المَلَائِكَةُ إِلَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ ثُمَّ خَرَّت سُجَّداً، فَقَالَت: سُبُّوحٌ قُدُّوس - في رواياتنا من أنَّ إمامنا الصَّادق حينما يكونُ في مجالسه الخاصة ويُذكَرُ محمد فإنَّهُ يتكفَّؤ تكفؤاً وهو يُردِّدُ بصوتٍ جميلٍ مُحَمَّد مُحَمَّد مُحَمَّد، يتكفَّؤ ينزلُ نفسهُ إلى الأرض ثُمَّ يصعدُ شيئاً فشيئاً، هذا هو التكفؤ، خُضوعاً وتواضعاً لذكرِ مُحَمَّد، فيقول: مُحَمَّد مُحَمَّد مُحَمَّد - **فَقَالَت: سُبُّوحٌ قُدُّوس رَبَّنَا وَرَبَّ المَلَائِكَة وَالرُّوح مَا أَشْبَهَ هَذَا النُّورِ بِنُورِ رَبِّنَا** - ما أشبه هذا النور (المثَلُ الأعلى)، عجيبٌ هذه الصورة عجيبةٌ - **فَقَالَ جَبْرَائِيل: اللهُ أَكْبَر، اللهُ أَكْبَر، فَسَكَتَتِ المَلَائِكَة وَفُتِحَت أَبْوَابُ السَّمَاء** - والحكايةُ المُحَمَّديَّةُ بدأت فصولها النُورانية، حديثُ المعراج، والأمرُ هو هو حين يصلون إلى السماء الثانية يتكرَّرُ الأمرُ نفسهُ الَّذي فعلتهُ الملائكةُ في السَّماء الدنيا، وفي

السَّماء الثالثة أيضاً: **خَرَّت الْمَلَائِكَةُ سَاجِدَةً سُبُّوحٌ قُدّوس رَبُّ الملائكة والرُّوح مَا هَذا النُّورُ الَّذي يَشبَهُ نُورَ رَبِّنا** - هذا منطقُ ملائكة السّماء الثالثة في سُجودها - **سُبُّوحٌ قُدّوس رَبُّ الملائكة والرُّوح مَا هَذا النُّورُ الَّذي يَشبَهُ نُورَ رَبِّنا** - الاختلافُ في التعابير فيه دقَّةٌ لاختلاف مراتب الملائكة.
فهنا ماذا قالوا؟ (**مَا أَشْبَه هَذا النُّور بِنُورِ رَبِّنا**).
وهنا قالوا: (**مَا هَذا النُّور الَّذي يَشبَهُ نُورَ رَبِّنا**)، الكلام هنا أكثرُ وضوحاً وأدق.

في (تفسير العياشي) وهو جامعٌ من جوامع الأحاديث التفسيرية / في تفسير العياشي / في الجزء الأول / في الصفحة السابعة والسبعين بعد المئة، حديث (٥٣١)، الحديثُ الحادي والثلاثون بعد الخمسمئة، حديثٌ عن إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه، في المضمون نفسه (في أجواء المعراج)، لكنَّ الحديث نقل لنا صُورةً أخرى، عن جُموعٍ من الملائكة قالوا قولاً أعجب من قول أولئك الَّذين قالوا ما قالوا فيما قرأتهُ عليكم من علل الشرائع: **حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ السَّمَاء، فَلَمَّا رَأَتهُ الْمَلَائِكَة** - أبوابَ السّماء لا حدود لها والملائكةُ أعدادٌ كثيرةٌ جِداً - **حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ السَّمَاء** - الكلامُ كلامُ الصَّادق صلواتُ الله عليه - **فَلَمَّا رَأَتهُ الْمَلَائِكَةُ نَفَرَت عَن أَبْوَابِ السَّمَاء** - لماذا؟ لماذا نفرت الملائكة؟ لم تُطق احتمالا - **نَفَرَت عَن أبوابِ السّمَاء** - وماذا قالت؟ قالت: **إِلَهَيْن؟ إِلَهٌ فِي الأَرْض وَإِلَهٌ فِي السَّمَاء؟** - هذا إلهٌ الأرض - **إِلَهَيْن؟ إِلَهٌ فِي الأَرْض وَإِلَهٌ فِي السَّمَاء؟ فَأَمَرَ اللهُ جَبْرَائِيل فَقَالَ: اللهُ أَكْبَر اللهُ أَكْبَر، فَتَرَاجَعَت الْمَلَائِكَةُ نَحوَ أَبْوَابِ السَّمَاء وَعَلِمَت أَنَّهُ مَخْلُوق** - سَلامٌ على الحجَّة بن الحسن اختصر كُلَّ ذلكَ في هذه الجملة: (لَا فَرقَ بَينَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك)، سلامٌ سلامٌ على منَ هُمُ لا فرقَ بينهم وبينهُ سُبحانه وتَعالى إلَّا أنَّهم عبادهُ وخلقه، كلماتٌ عجيبةٌ هذه، قلتُ لكم ليست للذوق، للمشاهدة عن بعد، عبرَ أجهزة التلسكوب، وبالتوفيق، بتوفيقٍ من الحُجَّة بن الحسن، هذا هو مُحَمَّد، هذا هو أبو الزّهراء.
في (كمالُ الدين وتمامُ النعمَة) لشيخنا الصدوق / صفحة (٤٨٧)، إنَّها الروايةُ الطويلةُ المنقولةُ عن سعد الأشعري القُمّي رضوان الله تعالى عليه، حينما خرج مُسافراً من قُم إلى سامراء لزيارة إمامنا الحسن العسكري بعد ولادة صاحبِ الأمر، وهناك تشرَّف برؤيته وسأل الإمام الحُجَّة في ذلك الوقت أسئلةً فأجابهُ عليها، من جُملة ما سألَ صاحبَ الزمان سؤالاً عمّا جاء في الكتاب الكريم: ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيك** - في الخطاب لموسى - **إِنَّكَ بِالْوَاد الْمُقَدَّس طُوًى**﴾ ، ما جاء في سورة طه، في الآية الحادية بعد العاشرة بعد البسملة من سورة طه: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى** - في الآية الَّتي تليها - **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْك إِنَّكَ بِالْوَاد الْمُقَدَّس طُوًى**﴾.
فسعدٌ الأشعري يسألُ إمام زماننا أيام أبيه الحسن العسكري صلواتُ الله عليهم، يسأله عن الآية: "**فَاخْلَعْ نَعْلَيْك إِنَّكَ بِالْوَاد الْمُقَدَّس طُوًى**"، **قُلتُ: فَأَخْبِرنِي يَا مَوْلايَ عَن التَّأوِيل فِيهِمَا؟** - النَّاس يقولون ويقولون، فَأجابَ إمام زماننا: **إِنَّ مُوسَى نَاجَى رَبَّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّس، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي قَدْ أَخْلَصْتُ لَكَ الْمَحَبَّة منِّي وَغَسَلْتُ قَلْبِي عَمَّنْ سِوَاك، وَكَانَ** - كان موسى - **شَدِيْدَ الحُبِّ لأَهْله فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "اخْلَع نَعْلَيْك"؛ أي انْزَع حُبَّ أَهْلَكَ مِنْ قَلْبِك إِنْ كَانَت مَحَبَّتُكَ لِي خَالصَة** - القلبُ السليم، مرّ علينا هو القلبُ الَّذي ليسَ فيهِ إلَّا الله، ليس فيه إلَّا الحُجَّةُ بن الحسن، (ومن أحَبَّكُم أحَبَّ الله) ، نحنُ لا نستطيعُ التواصلَ مَعَ الله، هذه خدعةٌ جاءتنا من السقيفة أن نتواصل معَ الله من دونِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، إذا كانَ ذلك بإمكاننا إذاً لماذا بعث الرسل؟ لماذا بعث اللهُ الرسل؟ إذا كُنَّا نستطيعُ أن نتواصل معَ الله بقُدرتنا وبإمكاناتنا الذاتية، إذاً لماذا بعثَ إلينا بالرسل لماذا؟ أبى اللهُ إلَّا أن تجري الأمورُ بأسبابها، (**أَينَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرض وَالسَّمَاء** - هذا هو السبب - **أَينَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَينَ الأَرضِ وَالسَّمَاء**)، إنَّهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، السببُ الأعظمُ مُحَمَّد، مُحَمَّد، مُحَمَّد، مُحَمَّد.
هذا لا يعني أنَّنا لا نحبُّ أهلنا، لكننا أن نضع حُبّهم في المكان الَّذي يُناسبُ قائمة الأولويات في حياتنا، هذه المشكلةُ الَّتي يعاني الشيعةُ منها كثيراً، الترتيبُ الفوضويُّ لقائمة الأولويات عندهم وكُلُّ ذلك بسببِ حوزة النَّجف، لأنَّ حوزة النَّجف قد ضيعت طريقها ولا تعرفُ ترتيب أولوياتها وانعكس هذا على الشيعة، مثلما قال الصَّادقُ: (**ضَلُّوا وَأَضَلُّوهُم**)، مراجع الشيعة ضَلُّوا وأضلوا عوام الشيعة معهم، الصَّادق هو الَّذي يقول لستُ أنا الَّذي أقول، والرواية في تفسير إمامنا الحسنِ العسكري صلواتُ الله وسلامهُ عليه.
إِنْ كَانَت مَحَبَّتُكَ لِي خَالصة وَقَلْبُكَ من الْمَيْل إِلَى مَنْ سِوَايَ مَغْسُولاً - هذه قائمةُ الأولويات يا موسى ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْك**﴾، هذه قائمةُ الأولويات يا أيُّها الشيعي؛ ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَاد الْمُقَدَّس طُوًى**﴾.
أتعلمون في تفسير آلِ مُحَمَّد الوادي المقدَّس طوى أين هو؟ إنَّهُ النَّجف، في حديث العترة الطاهرة في تفسير قرآنهم الوادي المقدَّس طوى إنَّهُ النَّجف، فأنتم في وادي الولاية، ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْك**﴾ يا أيُّها الشيعي، وقبل أن تخلع نعليك اخلع هذه العُجول، اخلع هؤلاء السّفهاء من قلبك يا أيُّها الشيعي، فموسى حين جاء إلى الوادي المقدَّس صدرَ الأمرُ من الله إليه.
ونحنُ في أحاديثنا فأنَّ الصوت الَّذي كلَّم موسى عبرَ الشجرة هو صوتُ إمامِ زماننا، تريدون أن تُصدِّقوا، لا تريدون أن تُصدِّقوا، أنتم أحرارٌ، كلامُ أمير المؤمنين بصريح العبارة أخبرنا من أنَّ الصوت الَّذي كَلَّم اللهُ به موسى هو صوتُ صاحبِ الأمر، ما أنا قلتُ لكم إنَّها أسرارٌ، الصوتُ الَّذي كلَّم اللهُ به مُحَمَّداً هناك في عوالم النور، كلَّمهُ بصوت عليّ، إنَّها أسرارٌ للمشاهدة عن بُعد وعبر التلسكوب فقط وبالتوفيق.
في كتاب (الخصال) لشيخنا الصدوق / يبدأ الحديث صفحة (٦٥٩)، الحديثُ الثَّالث، النص الَّذي سأقرأه عليكم صفحة (٦٦٠)، إمامنا الصَّادقُ يقول: **عَرَجَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله مِئَةَ وَعِشْرِيْنَ مَرَّة** - قلتُ لكم قبل قليل معارجُ النَّبي لا تُعدُّ ولا تُحصى، والمئةُ والعشرون هذه الَّتي يتحدَّثُ عنها الصَّادقُ هنا لها خصوصيةٌ مُعيَّنة، لو كانَ الحديثُ عن معارج النَّبي لبسطتُ لكم القول في ذلك وفقاً لثقافة العترة - **عَرَجَ النَّبِي مِئَةَ وَعِشْرِيْنَ مَرَّة مَا مِنْ مَرَّة إِلَّا وَقَد أَوْصَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا النَّبِي بِالوَلَايَة لِعَلِيٍّ وَالأَئِمَّة أَكْثَرَ مِمَّا أَوْصَاهُ بِالفَرَائِض** - وأولُ الولاية لعليّ وآل عليّ المودَّةُ، وأوَّلُ المودَّة هذه لفاطمة، أنا لا أريدُ أن تُقارنوا بين ما جرى لموسى وما جرى هنا، أردتُ أنَ أستعرض الأحاديث بين أيديكم، فإنَّني لا أجدُ وجهاً للمقايسة، المقايسةُ تكونُ حينما تكونُ هناك جهاتٌ نبني على أساسها المقايسة، لكنَّهُ استعراضٌ، فموسى في الوادي المقدَّس جاء الأمر إليه أن يخلع نعليه، أن يخلع حُبَّ أهلِ بيته، فهذا تفسيرُ إمامِ زمانكم أنا قرأتهُ عليكم، ومُحَمَّدٌ في معارجه المئة والعشرين في كُلِّ مرّة يُؤمر بولاية عليّ وآل عليّ، وعنوانُ الولاية المودَّة، من هنا الأحاديثُ تخبرنا من أنَّ عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة ما هو؟ (**حُبّ عليّ بنِ أبي طَالب**)، هذا هو عنوان الصحيفة، حبّ عليّ بنِ أبي طالب يعني حبّ مُحَمَّد، مُحَمَّدٌ هو عليّ، وعليّ هو مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهما وآلهما.
حينما نذهبُ إلى سورة الشورى:

وفي الآية الثالثة والعشرين بعد البسملة من سورة الشورى: ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ**﴾، هذه البشرى، البُشرى؛ غريبٌ أمرُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ! الأجرُ الَّذي ندفعه إليهم هو بُشرى لنا، غريبٌ أمرُ آلُ مُحَمَّدٍ! ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** - ما هِيَ هذه البشرى؟ - **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾.

أنا لا أقولُ لكم قايسوا بين ما كان من شأنِ موسى وبينَ ما هو من شأنِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، إنَّما أعرضُ الصورَ بين أيديكم، أُذكِّركم فقط، لأنَّهُ لا وجه للمقايسة، كيفَ أُقايسُ بين آلِ مُحَمَّدٍ وآلِ موسى؟! كيفَ أُقايسُ بين مُحَمَّدٍ ومُوسى؟! كيف أُقايسُ بين مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وشيعتهم؟! لا وجه للمقايسة، قطرةٌ من قطراتِ نورِه تجلَّت فكانت موسى، إنَّها قطرةٌ من فيضه، وهذا الفيضُ لا يكونُ جزءاً من ذاته، إنَّهُ من آثارِ ذاته، فكيف أُقايس بين الذاتِ بعظمتها العُليا وبين قطرات قُطيراتٍ من آثارها؟! لا وجه للمقايسة أبداً.